صورة عن العلاقات بين جمهورية البندقية وسلطنة المماليك في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي من خلال وثيقة أصلية.

أ.رشيد باقة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

ظل البحر الأبيض المتوسط، منذ فجر التاريخ شريانا دافقـــا يربط بين حضارات العالم القديم ومنطقة مفتوحة للاتصال بين ثقافات وشعوب كل من أوروبا وآسيا وإفريقيا،إذ بواسطته تأثرت حضارة الإغريق القدماء بحضارة كل من الفينيقيين وقدماء المصريين،وبفضله استطاعت روما أن تقيم إمبراطورية واسعة، شملت كل البلاد المطلة على ضفافه،وعندما ظهرت المسيحية،كان البحر المتوسط عاملا قويا ساعد على انتشارها،بحيث ما كاد القرن الأول للميلاد ينتهي،حتى كان كل بلد يطل على ذلك البحر،إلا وبه جالية مسيحية، وبظهور الإسلام وإنتشاره، منذ القرن السابع للميلاد،كان البحر الأبيض المتوسط المعبر الرئيسي،الذي ربط اقتصاديا وثقافيا أجزاء الدولة الإسلامية بالعالم الغربي،وقد عبر أحد المؤرخين بإعجاب عن

أهمية هذا البحر، في تلك الفترة، قائلا: **"لم نكن نقطن من الأرض سوى الجزء الممتد من مياه فازا (بحر ايجه)، إلى أعمدة هرقل (جبل طارق) والناس على جوانبه كأنهم نمل أو ضفادع حول مستنقع"**[1]

و لم يفقد البحر الأبيض المتوسط أهميته كوسيلة للإتصال بين شعوب الشرق والغرب، حتى في أعنف فترات الصراع بين هذه الشعوب، على عكس ما ذهب إليـــه المؤرخ البلجيكي "هنري بيرين" في كتابه "محمد وشارلمان"[2]

فلقد ظل تجار الشرق، اليهود والسوريون، طيلة فترة الفتح الإسلامي، على عادتهم ينقلون سلع الشرق (البردى، الحرير، البخور، الشموع، والمعادن الثمينة) إلى مختلف مدن أوروبا[3] و لم يتراجع نشاطهم إلا مع قيام الحروب الصليبية وإنتشار فكرة العداء للسامية[4]. كما شهدت الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، ظهور نشاط مكثف للتجارة بين المدن الأوروبية الساحلية والموانئ الإسلامية، خصوصا بعدما تقلص نفوذ بيزنطة في حوض المتوسط باستيلاء المسلمين على جزره وبسطوا سيادتهم على كل أجزائه[5] الشيء الذي جعل مـــدن الساحل الأوروبي للمتوسط، وبخاصة المدن الإيطالية، التي تعودت العيش منذ زمن بعيد، على مكاسب التجارة العالمية مضطرة بدافع الحاجة إلى السعي لإقامة علاقات ودية مع العالم الإسلامي غير مبالين في ذلك[6] بقرارات الكنيسة التي تحرم التعامل مع المسلمين، و لم يتوقف صلات هذه المدن التجارية مع الحواضر الإسلامية حتى في أشد فترات العداء والصراع زمن الحروب الصليبية[7] وقد عبر الرحالة "ابن جبير" عن هذا الوضع بحكمة فائقة، قائلا:**"يزاول رجال الحرب حروبهم، وتزاول الشعوب تجارتها في سلام والدنيا لمن استطاع الاستيلاء عليها"**[8]

وكانت جمهورية البندقية، بحكم موقعها على البحر الأدرياتيكي بمحاذاة الشرق، على رأس المدن التجارية التي نجحت في إقامة علاقات مميزة مع العالم الإسلامي، إذ يعود تاريخ بداية اتصال تجارها بالموانئ الإسلامية إلى القرنين الثامن والتاسع الميلادي، ففي سنة 828م أغتنم تجار البندقية فرصة وجودهم بميناء الإسكندرية وقاموا بسرقة رفاة "القديس مرقص ST MARC" وحملوه إلى مدينتهم التي اعتزت، منذ ذلك الوقت بتسمية نفسها جمهورية "القديس مرقص" **République de St.Marc**[9]

إزدادت صلات البندقية بالبلاد الإسلامية إبان الحروب الصليبية، تلك الحروب التي نظرت إليها البندقية من زاوية المنفعة الاقتصادية لا غير، فراحت تحابي الطرفين المتحاربين، تقدم المساعدات المادية للحملات الصليبية من جهة، ومن جهة أخرى تبرم المعاهدات والاتفاقيات مع سلاطين مصر لبيع الأخشاب والحديد والعبيد، متحدية دعاوى البابوية التي تقضي بمنع بيع مثل هذه السلع، التي يستخدمها المسلمون في حروبهم ضد المسيحيين[10]، وكان شعار البندقية في ذلك، "**نحن أولا بنادقة ثم بعد ذلك مسيحيين** **si ame veneziani poi chréstiane**"[11]

سياسة تغليب المنفعة الذاتية التي اتبعتها حكومة البندقية في علاقتها بالعالم الإسلامي، جعلتها تحظى بمكانة مرموقة لدى سلاطين مصر زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك فعقدوا معها اتفاقيات مميزة ومنحوا جاليتها امتيازات خاصة.

و يحتفظ أرشيف مدينة البندقية، حتى يومنا هذا، على مجموعة من نصوص المعاهدات والاتفاقيات والرسائل التي تمت بين حكومة البندقية وسلاطين مصر، وبخاصة تلك التي تعود إلى القرون 13 و14 و15[12]م (فترة العصر المملوكي).

غير أن ما يمكن الإشارة إليه، أنه لا توجد نسخ أصلية عن هذه المعاهدات في الأرشيفات العربية، رغم أنها كانت صادرة منها، بسبب ضياع معظم الوثائق العامة في البلاد العربية الخاصة بهذه الفترة ومن هنا يصبح من الصعب على الباحث أن يقارب محتويات المعاهدات المحفوظة بالأرشيف الايطالي، بما يقابلها من وثائق عربية لعدم وجود أرشيف مقابل، فضلا عن إغفال كتب الحوليات للمؤرخين المسلمين عن ذكر هذه النصوص[13]

ومن بين الوثائق التي يحتفظ بها أرشيف البندقية والخاصة بالعلاقات الاقتصادية مع سلطنة المماليك بمصر، هذه الوثيقة المؤرخة بتاريخ 10 شعبان 877هـ الموافق لـ10 يناير 1473م[14]، وهي في الأصل عبارة عن رسالة من السلطان المملوكي "الأشرف قايتباي" سلطان مصر (1468-1498)، إلى دوج البندقية وقد حفظت في شكلها العربي مع الترجمة الإيطالية ضمن المجموعة المعروفة باسم "regesti libri commemorali"،[15] التي تشمل على وثائق خاصة بالتجار البنادقة وأسفارهم، ووصول سفنهم إلى الموانئ الإسلامية، كما تحوي أيضا مذكرات القناصل والسفراء،ونصوص الخطابات الموجهة من سلاطين المماليك إلى الحكام البنادقة ومن الدوج إلى السلاطين، وكل ما يتعلق عن حيثيات العلاقات التجارية بين مصر والبندقية.

والشيء الذي يلاحظ على هذه الوثيقة أن جزءا صغيرا في مقدمتها قد تعرض للتلف بفعل الرطوبة وطول المدة، وهو القسم الذي يحوي ألقاب السلطان وكذا اسم الدوج واسم السفير الذي حمل الرسالة،أما باقي محتوى الرسالة فقد ظل

سالما واضحا مفهوما لم يصله التلف: ومن حسن الحظ أن الترجمة اللاتينية قد حافظت على ما كان مدونا على الجزء الذي أتلف.[16]

ويبدو واضحا من خلال ما جاء في الوثيقة أنها عبارة عن رسالة موجهة من السلطان الأشرف قايتباي إلى دوج البندقية، ردا على سفارة كان قد بعث بها هذا الأخير إلى السلطان المصري مع السفير "جيوفاني إمو" "Giovanni emo" بتاريخ 22 جويلية 1472م [17]، لإعلام السلطان المصري عن بعض المسائل التي صارت تقلق بال حكومة البندقية، خصوصا في ما يتعلق بحياة وأمن جاليتها في موانئ السلطنة، حيث طلب من السفير إبلاغ السلطان لما تتعرض له جاليتها من اعتداءات ومضايقات بالموانئ الشامية [18] كذلك الحال بالنسبة لعمليات الغش في السلع التي يتعمدها التجار المسلمون في تعاملهم مع التجار البندقية. " ...**تعلمه بأن الفلفل الذي يباع لتجارنا غالبا ما يكون مغشوشا، مبلل ومخلوط بالتراب والحصى.....**" [19]

وهناك مسألة في غاية الحساسية تتعلق بالسياسة الدولية، وتعني بالأخص، تلك الاتصالات السرية التي كانت تجريها، في تلك الفترة، حكومة البندقية مع الإمارة التركمانية (الخراف البيض)؛ ولما كان متوقعا لدى حكومة البندقية أن هذه المسألة قد تغضب سلطان القاهرة إذا ما علموا بها [20]، لذلك حرصت على التوصية والتأكيد على سفيرها بعدم إثارة هذا الموضوع مع السلطان أثناء مقابلته له، إلا في حالة ما إذا بادر السلطان بنفسه إلى مفاتحته فيه، وشددت حكومة البندقية في التوصية على سفيرها : " **عليك بطمأننه بأسلوب ديبلوماسي مرضي، بأن الأمر لا يتعدى مجرد تبادل السفارات لا غير** " .[21]

ومما تقدم، يتضح أن رسالة السلطان المملوكي، قايتباي إلى دوج البندقية بتاريخ 10 يناير 1473 م (موضوع الدراسة)،جاءت في حقيقة الأمر كرد على تلك السفارة التي كان قد بعث بها الدوج إلى السلطان مع سفيره، خصوصا فيما يتعلق بمسألة أمن الجالية البندقية في موانئ السلطنة، غير أن ما يلفت الانتباه في هذه الرسالة أن السلطان لم يتطرق فيها بالإجابة والتوضيح لكل الانشغالات التي كان قد بعث بها الدوج إلى السلطان مع سفيره، خصوصا فيما يتعلق بمسألة أمن الجالية البندقية في موانئ السلطة.

ربما أن السلطان لم يكن على علم بهذه الأحداث عند مجيء سفارة جيوفاني إلى القاهرة، ومن ثم فضل، قبل أن يصدر أي حكم بشأنها تقصي الحقيقة من الثغور الشامية. أو ربما كان على علم بها، إلا أنه لم يعطها أهمية، لكونها من الأمور العادية التي كثيرا ما تحدث بالموانئ، فغالبا ما كانت تقع خلافات ومشادات بين الجاليات الأجنبية والمسلمين بالموانئ وتتدخل السلطات المحلية لتهدئة الوضع[22].

وهناك احتمال وارد، وربما يكون الأقرب إلى الحقيقة، هو أن السلطان كان قد تعمد عدم الإشارة إلى هاته المسألة لعلمه أن ما لحق بالتجار البنادقة من إهانات واعتداءات بالموانئ الشامية، هو نتيجة لتذمر المسلمين عند سماعهم خبر تحالف جمهورية البندقية مع إمارة الخراف البيض، ومن ثمة يفهم من أن السلطان لم يكن راضيا عن تلك المناورات التي تقوم بها البندقية.

وعلى الرغم من أنه لم ترد إشارة واضحة كذلك في رسالة السلطان إلى الدوج، عن موضوع الاتصالات الجارية بين والإمارة التركمانية (وهي المسألة التي حاولت سلطات البندقية إخفاءها عن السلطان)، إلا أنه يبدوا من خلال تلميحات وردت في الرسالة،أن السلطان كان على الرغم بهذا الموضوع، وقد فضل

تدارسه مشافهة مع السفير، على اعتبار أنه يخص أمور سياسية خطيرة يجب أن يراعي فيها السرية.وما يؤكد ذلك،ما جاء في الفقرة الرابعة من الرسالة حيث لمح السلطان للدوج بضرورة الاستماع لما يطالعه به السفير،فيما كان قد حمله إياه مشافهة،أو كما جاء في الرسالة:"**ويصغي حضرة الدوج لما يطالعه به من المشافهة الصادرة عنا**".

ويفهم من هذه الجملة، أن السلطان كان قد تدارس بعض القضايا سرية مع السفير، وأمره بحملها إلى الدوج،وليس هناك شك في أن هذه القضايا السرية، تخص موضوع الإتصالات المشبوهة الجارية بين جمهورية البندقية والإمارة التركمانية، بدليل أن الدوج بعث في السنة الموالية بتاريخ 05 يوليو 1474م، سفيرا آخر إلى القاهرة[23]، لطمأنة السلطان بأن التقارب الحاصل بين جمهورية البندقية وإمارة الخراف البيض التركمانية ليست له علاقة لا من بعيد ولا من قريب، بأية مناورة تستهدف مصالح سلطنة المماليك، إنما الأمر يتعلق بالتحالف لمواجهة الخطر العثماني المتزايد في منطقة آسيا الصغرى[24]

والانشغال الوحيد—من بين الانشغالات التي حملها السفير جيوفاني ايمو إلى السلطان قايتباي-والذي رد عليه السلطان كتابيا في الرسالة التي بعث بها إلى الدوج هو ماكان يتعلق بمسألة الغش في السلع،حيث أكد السلطان لحضرة الدوج،أنه أعطى توجيهات للأمراء في الأقاليم بعدم التعرض للتجار البنادقة ومنع الغش في التعامل معهم،أو كما جاء في الرسالة."*ورسمنا بكتابة مراسيم شريفة إلى الممالك الإسلامية بالوصية بجميع تجار البنادقة وأحوالهم عندنا مسددة ورسمنا أيضا بأن*

فالفل ذخيرتنا الشريفة الذي يعطي لهم يكون سالما من التراب والبلل والخلـــط، كل ذلك لأجل حضرة الدوج".

وهنا أيضا نلاحظ، مرة أخرى، مدى حنكة ودبلوماسية السلطان، فهـــو في الواقع، لم يعترف بوجود مثل هذه التجاوزات والممارسات غير القانونية من قبـــل رعاياه، إلا ليكشف للدوج جانبا أخطر عن ممارسات مشابهة، كان تجار البندقيـــة مسئولون عنها في موانئ السلطنة. فأطلعه على أمثله كثيرة من أساليب الغش وكذلك بعض التجاوزات والسلوكات العدوانية التي اقترفتها التجار البنادقة في حق المسلمين، أو كما جاء في الرّسالة: **"وغير ذلك مما نعرف به حضرة الـــدوج أن الذهـــب والفضة التي صارت تصل في القطائع إلى الثغر السكندرية وغيره يوجد فيها غـــش، بحيث أن المائة درهم من الفضة إذا صفيت لم تقارب ستين درهما وغالبها نحـــاس، وأما القماش الذي يصل أبوابنا الشريفة من المخمل المنقـــوش فغالبـــه مغشـــوش بالنحاس، وأما الجوخ"[25]، فجرت العادة أن يكون درع كـــل خرقـــة خمســـة وخمسون ذراعا، وقد صار الجوخ الآن كل خرقة منه لا يبلغ ثلاثين ذراعا، وفيه ما هو مقطوع من الوسط، وتضرر تجار المسلمون بواسطة ذلك".** **"....ومما نعرفه به أن المركبين اللتين حضرت صحبة الحتشم قاصده تعرض من فيهما من الفرنـــج لجماعة من المسلمين بالمير الإسلامية وأخذوا منهم وأسروا، ومن جملة ما اعتمـــدوه أنهم أخذوا إمرأة مسلمة وفسقوا فيها...".**

ويبدو واضحا من خلال هذه الأمثلة التي كشف عنها السلطان في رســـالته إلى الدوج إنما أراد من وراءها إبعاد التهمة عن مواطنيه وإلقاء المسؤولية كاملة علـــى عاتق تجار البنادقة، وبالتالي إبطال حجج الدوج وشكاويه، وإقناعه بأن ما لحق جاليته

من ضرر على يد المسلمين، إنما كان بطبيعة الحال من باب المعاملة بالمثل، كما تدين تدان.

ومن ثم، يمكن فهم سبب اللهجة الحادة، التي استعملها السلطان في الفقرة ما قبل الأخيرة من الرسالة، عندما طلب من الدوج تحذير رعاياه بعدم اللجوء إلى مثل هذه الممارسات مستقبلا، ويطلب منه كذلك، معاقبة الجماعة التي تسبب في إلحاق الأذى بالمسلمين.

وما يمكن استخلاصه، بعد دراسة هذه الوثيقة أن جمهورية البندقية التي كانت منذ فترة طويلة تستأثر على حصة الأسد في تجارة الشرق، قد بدأت، منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، تشعر بالقلق إزاء تصاعد قوة العثمانيين، الذين بدأوا يوسعون دائرة فتوحاتهم إلى شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى، فخافت من أن يؤدي ذلك إلى زعزعة مكانتها بالمنطقة، ووجدت في الأمير "**أوزن حسان**" زعيم قبيلة "الخراف البيض" التركمانية بآسيا الصغرى حليفا ظرفيا، هذا الأخير الذي كان في حروب مع الدولة العثمانية بسبب الخلافات المذهبية، كما كان له مشروع هام يريد تحقيقه وهو إيجاد منفذ لإمارته على البحر المتوسط ليتخلص من العزلة الاقتصادية والسياسية.

ولما كان مشروع الأمير التركماني للوصول إلى البحر المتوسط،يقلق في الواقع،الدولة المملوكية،لأن ذلك المشروع إن تم سيكون بطبيعة الحال،على حساب أراضيها بحكم سيطرتها على أطراف المتوسط الشرقية،لهذا الغرض سارعت البندقية، التي تربطها علاقات تجارية قوية مع سلطنة المماليك، إلى إيفاد سفارة إلى القاهرة وحاولت من وراءها استعمال الحيلة والمناورة السياسية بغرض تمييع القضية وإشغال بال السلطان بأمور ثانوية، تتعلق بالغش في السلع وكذا أمن وحياة جاليتها بموانئ

السلطنة. لكن مناوراتها لم تنجح أمام حنكة السلطان قايتباي الذي تبين أنه كان على علم بكل ما يجري على الساحة، لذلك كان رده على سفارة الدوج معاكسا تماما لمـــا كان قد خطط له هذا الأخير.

وفي الخاتمة يمكن القول أن سفارة "**جيوفاني ايمو**" إلى القاهرة لم تلق النجاح المنتظر، كما أن مناورات حكومة البندقية السياسية للحفاظ على مصالحها في شرق المتوسط لم ترضي السلطات في القاهرة، التي استمرت في سياسة المضايقة على التجار بموانئها، بدليل أنه في سنة 1499م تعرضت جالية البندقية للاعتداء والضرب وأدخـــل بعضهم السجن[26]،واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحولت أسواق التوابل إلى أوربا.

(نص الرسالة التي بعث بها السلطان قيتباي إلى دوج البندقية في شكلها الأصلي)

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

.....؟.....

السلطان الأعظم.....

.....الموقر، المحتشم، الخطير، الباسل، المفخم، الضرغام، السميدع، الهمام، مجد الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوج البندقية والمايسية، دوج كراك دين بني المعمودية، صديق الملوك والسلاطين.

أدام الله تعالى بهجته وجدد مسرته على أبوابنا الشريفة على يد المحتشم قاصده وأحطنا علما بها.

وتقدم مثالنا الشريف إلى حضرة الدوج أعلمناه فيه الوصول القاصد المذكور بما عاملناه به من الإحسان بأعظم من جميع قصاد ملوك الفرنج الواردين على أبوابنا الشريفة لما نتحققه من إخلاص حضرة الدوج في محبتنا ودعائه لمقامنا الشريف.

وأن مراسيمنا الشريفة برزت بقضا جميع أشغاله وضروراته على حكم ما سال فيه صدقاتنا الشريفة،ورسمنا بكتابة مراسم شريفة إلى الممالك الإسلامية بالوصية بجميع تجار البنادقة وأحوالهم عندنا مسددة،ورسمنا أيضا

بأن فلفل ذخيرتنا الشريفة الذي يعطى لهم يكون سالما من التراب والبلل والخلط، كل ذلك لأجل حضرة الدوج. وغير ذلك مما نعرف به حضرة الدوج أن الذهب والفضة التي صارت تصل القطائع وغيرها إلى الثغر السكندرية وغيره يوجد فيها الغش بحيث أن المائة درهم من الفضة إذا صفيت لم تقارب ستين درهما، وغالبها نحاس، وأما القماش الذي يصل إلى أبوابنا الشريفة من المخمل المنقوش فغالبه مغشوش بالنحاس، وأما الجوخ فجرت العادة أن يكون ذرع كل خرقة خمسة وخمسون ذراعا وقد صار لجوخ الآن كل خرقة منه لا تبلغ ثلاثين ذراعا، وفيه ما هو مقطوع من الوسط وتضرر تجار المسلمون بواسطة ذلك، وتعجبنا كل العجب من هذه الأمور وكون يتفق من تجار حضرة الدوج ذلك ولا يقابل المعتمد لذلك بما يليق به من تعنيف وتأذيب، وقد أعلمنا حضرة الدوج بذلك كله ليصير على خاطره، ومما نعرفه به أن المركبين اللتين حضرت صحبة المحتشم قاصده تعرض من فيها من الفرنج بجماعة من المسلمين بالمير الإسلامية وأخذوا منهم وأسروا، ومن جملة ما اعتمدوه أنهم أخذوا إمرأة مسلمة وفسقوا فيها، وأنكرت خواطرنا الشريفة ذلك فإنه لم يكن عادة جماعة البنادقة أن اعتمدوا شيا منه.

فحضرة الدوج يطالب تجار البنادقة بأجمعهم ويعلموهم بذلك ويحتم عليهم أن لا يحضروا ذهبا ولا فضة مغشوشة، ولا يجهزوا جوخا ولا قماشا إلا كاملا على ماجرت به العادة القديمة وأنهم لا يعتمدون قطع شي من الخرق ولا غير منه ويؤكد عملهم في ذلك ويعرفهم أنهم متى حصل منهم شي من ذلك من الآن يقابلهم على ذلك،ويصغى حضرة الدوج لما يطالعه به

من المشافهة الصادرة عنا، ويطلب حضرة الدوج البنادقة الذين كانوا بالمركبين المذكورين ويقابلهم على ما اعتمدوه مع المسلمين ويلزمهم بإعادة ما أخذوه بتمامه وكماله ويجهز ذلك والمرأة المسلمة إلى أبوابنا الشريفة ويقابل الفرنجي البندقي الذي كان قبض عليه ورسمنا بإطلاقه فإنه هو الذي تجري وفعل ذلك وأقدم عليه ولا يقبل له ولا لمن كان معه في الله عذرا ولا حجة وأن حصل منهم تهاون في الله فيجهزهم إلى أبوابنا الشريفة لنقابلهم على ذلك بالمعدلة الشريفة.

وقد أعدنا قاصد حضرة الدوج إليه بهذا الجواب الشريف بعد أن أنعمت صداقتنا الشريفة عليه وعلى جماعته بخلع شريفة ونفقة وجهزنا على يده لحضرة الدوج على سبل الهدية ما تضمنته القائمة المجهزة طي هذا المثال الشريف، فحضرة الدوج يتسلم ذلك ويطيب خاطره وخاطر تجار البنادقة ويعلمهم أنهم مشمولون بنظرنا الشريف وعنايتنا الشاملة فنحيط علما بذلك.

والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

في عاشر شعبان الكريم، سنة سبع وسبعين وثمن مية.

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الهوامش:

[1] **كلود الماس: تاريخ الحضارة الأوروبية**، مترجم، منشورات عويدات، بيروت، 1982 ص8.

[2] زعم المؤرخ البلجيكي "هنري بيرين" في مؤلفه الشهير "محمد و شرلمان" أن الفتوحات الإسلامية قد تسببت في تحطيم الوحدة الحضارية لعالم البحر الأبيض المتوسط، معللا ذلك بقوله: أن سكان أطراف هذا البحر كانوا قبل القرن السابع للميلاد، يشكلون وحدة حضارية، عقيدتها واحدة المسيحية ولغتها واحدة اللاتينية وعملتها واحدة "النومسمة" "NOMISMA" البزنطية، وعندما جاء الإسلام مزق هذه الوحدة واقتلع الجذور الكلاسيكية منها إلى الأبد، بعد أن تحولت بلاد الشام وشمال إفريقيا إلى دائرة الإسلام وانضوت تحت لواء حضارة جديدة دينها الإسلام ولغتها العربية للمزيد راجع كتاب:

Pirenne, H ; Mohamed et Charlemagne, 2ed, Paris, 1937.

[3] **لوبيز روبرت**: التأثيرات الشرقية والنهضة الإقتصادية في الغرب، نقله إلى العربية توفيق إسكندر في كتابه "بحوث في التاريخ الإقتصادي" (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية)، القاهرة 1961 ص. 175."

[4] **عاشور س.ع**: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1986، ص 304.

[5] **أرشيبالد لويس**: القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط (500-1100) مترجم، القاهرة، 1951، ص (211-13).

[6] **كلود كاهين:** الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، مترجم، دار سينا للنشـــر، الطبعة الأولى، القاهرة، ص ص (142–3).

[7] **ابن جبير:** الرحلة، منشورات الأنيس، الجزائر، 1988، ص261.

[8] **هايد. ف:** تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، مـــترجم، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص ص 125.

[9] Norman Daniel: the arabs and Medieval Europe; 2 Ed, Liban, 1979, pp. 222-223.

[10] **جوزيف نسيم:** دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصـــور الوسطى، الإسكندرية، 1983. ص 80.

[11] أنظر مجمل الاتفاقيات التجارية التي عقدتها البندقية مع سلاطين الأيوبيين والمماليك في مراجع:

– **فايد حماد عاشور:** العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصـــر الأيوبي، دار المعارف 1980.

– **عفاف صبرة:** العلاقات بين الشرق والغرب –علاقات البندقية بمصر والشام في الفترة من 1100–1400م، دار النهضة العربية 1983.

[12] **محمد أمين:** معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر بين البندقية وسلطنة المماليك في: (مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط)، إعداد وتقديم، رؤوف عباس، القاهرة، 1986، ص 210.

[13] Wansbrough, j; Mamluk letter of 877/1473m in (Bulletin of. the Scholl of the orient and African studies, Bsoas), Vol, 24, 1961 pp (200-213).

[14] **Iskander, T. :** Les relations commerciales et politiques de Venise avec l'egypte au XIV XV° (école nationale des Chartes), Paris 1953.

15أنظر الوثيقة منشورة في شكلها الأصلي:

Wansbrough j, :op – cit, p (206-210)

[16] **Wansbrough j,** :op – cit, p. 210

[17]حقيقة، لقد تعرضت جالية البندقية المقيمة في دمشق للإهانة من قبل السلطات المحلية، حيث أدخل مجموعة من التجار البنادقة السجن لمدة، كما تعرض قنصل البندقية في دمشق "جيوفاني بريولي Giovanni Pirulli" للضرب.

أما عن سبب هذه الإهانات، فقد أوضح المؤرخ "هايد Heyd" أنه في هذه الفترة، كان على ولاية الشام المملوكية، أميران، أمير على حلب يتولى الإشراف على ميناء طرابلس، وأمير على دمشق يتولى الجباية على ميناء بيروت، وكان هذا الأخير قد أصدر مرسوما يلزم تجار البندقية القاصدين سوريا أن يترلوا بضاعتهم في ميناء بيروت، وحدث أن جاءت قافلة من البندقية وأفرغت حمولتها في ميناء طرابلس، فغضب على أثرها أمير دمشق وعاقب جالية البندقية المقيمة في دمشق. للمزيد، راجع –هايد، ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج الثالث ص 371.

[18] -**Wansbrough j,** op – cit, p. 210.

[19]في سنة 1330م، إنهارت المملكة الأليخانية التي كانت تسيطر على إيران وبلاد فارس، وقامت على أنقاضها مجموعة من الإمارات منها إمارتان تركمانيتان هما "إمارة الخراف البيض"

mouton blanc" وإمارة الخراف السود "moutoun noir"، اللتان دخلتا في حروب ومنازعات منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، من أجل الاستيلاء على منطقة آسيا الصغرى، وكان

على رأس إمارة "الخراف البيض" في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (1454– 1478م) الأمير "أزون حسان" الذي كانت له أطماع توسعية يهدف من ورائها إلى إيجاد منفذ لإمارته على البحر الأبيض المتوسط ليتخلص من العزلة الطبيعية والسياسية، فدخل في حروب ضد الدولة العثمانية، ولتحقيق أهدافه التوسعية عرض التحالف مع جمهورية البندقية، للمزيد، راجع:

– **كلود كاهن**: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى بداية الإمبراطورية العثمانية، ط.2، بيروت 1977، ص ص. (269–70).

20 Wansbrough, j, op – cit, pp. (210-2).

21.تذكر بعض المصادر العربية المعاصرة، أنه كثيرا ما كانت تحدث خلافات ومشادات بين الجاليات الأجنبية والمسلمين بموانئ السلطنة، للمزيد، راجع بهذا الشأن:

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص 503.

22. Wansbrough, j, op – cit, pp. 202

23.يبدوا أن موضوع الاتصالات المشبوهة بين جمهورية البندقية وإمارة الخراف البيض،كانت تخفي أمورا خطيرة، إذ أرسلت البندقية بين عامي 1473 و1474 اثنان من سفرائها إلى بلاط أزون حسان للتفاوض معه بشأن إقامة حلف لمواجهة الدولة العثمانية.

– **هايد، ف**:تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ح3 ص 269.

24.يقصد بالجوخ، الملايا (les draps) أنظر.

-**DOZY** : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, Amsterdam 1845, pp. (128-29).

25. **هايد. ف**: المرجع السابق ج3، ص 371.